تاريخ الأدب المقارن وأسسه النظرية: المحطتان 10و11، تاريخ 7\5\2023، د. راتب سكر

محطة 10، فرناند بالدنسبيرجيه (1871-1958) Fernand Baldensperger

أولا، دوافع اهتمامه بالأدب المقارن:

أ، اعتقاده الشخصي بأهمية دراسات "الأدب المقارن" في نماء الآداب ونقدها، من أبرز دوافع اهتمامه بها.

ب، تأثر بالدنسبيرجيه في نشأته بالحماسة التي شهدتها الحياة الثقافية الفرنسية والأوربية نحو "الأدب المقارن" في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، متوجة بتشجيع برونتيير الناقد والأستاذ الجامعي البارز، ودراسات جوزيف تكست...وظهور كتاب لافت بعنوانه صدر في بريطانيا، قال عنه لاحقا بول فان تيغيم: "ففي عام 1886 ظهر أول كتاب موقوف على نظرية هذا العلم وحدها: وهو كتاب "الأدب المقارن" "Comparative Literature" للمؤلف الإنجليزي م. هـ. بوسنت. وما يزال هذا الكتاب شيّقًا على كونه لا يحقق كلَّ الظنِّ فيه – على حد تعبير تييغم-" (تييغم ص34).

ج، شُغْل بالدنسبيرجيه كرسي "الأدب المقارن" في جامعة ليون: برز اسمه منذ عام 1900 في مطلع القرن العشرين عندما كان في التاسعة والعشرين من عمره، وخلف جوزيف تكست (1865-1900) Joseph Texte) بعد وفاته شابا، في شغل كرسي الأدب المقارن في جامعة ليون الفرنسية، ذلك الكرسي الذي أحدث عام 1896، ليكون الكرسي الجامعي الأول لتدريس الأدب المقارن في فرنسا (بله في العالم). شغله هذا الكرسي عزز اهتمامه بدراسات الأدب المقارن، وسبله إلى ذلك.

د، انتقال وظيفته إلى السوربون: في عام 1910م، انتقل بالدنسبيرجيه إلى جامعة السوربون في باريس، بعد ان خصصت مقعدا للأدب المقارن، أسوة بجامعة ليون. فتعززت سبله إلى دراسة هذا الباب المعرفي.

هـ، صداقته الحميمة مع المثقف الموسوعي بول هازار (1878- 1944م). (الذي كان يصغره بسبع سنوات). وتعاون معه في إصدار "مجلة الأدب المقارن" عام 1921، وهي أول مجلة مختصة بهذا الباب المعرفي في العالم.

ثانيا، مؤلفات بالدنسبرجيه: ترك مجموعة من المؤلفات القيمة، من أهمها:

أ، كتابه (غوته في فرنسا). الصادر في باريس بطبعته الأولى عام 1904، وبطبعته الثانية عام 1920.

ب، كتابه "مصادر الأدب المقارن" عام 1904م.

ج، عام 1921م أسس بالدنسبرجيه مع صديقه بول هازار مجلة الأدب المقارن، وسَرْعَانَ ما صار لها "مكتبة مجلة الأدب المقارن، التي كانت تضم عام 1939 مئة وعشرين مجلدا"(1).

د، كتاب بالدنسبرجيه المهم الصادر في فرنسا عام 1925 بعنوان: (حركة الفكر في الهجرة الفرنسية بين عامي (1789-1815م).

هـ، كتابه الصادر في فرنسا عام 1926 بعنوان: (المصادر الأجنبية عند أونوريه دو بلزاك).

و، كتابه الصادر في نيويورك، عام 1945بعنوان: "النقد والتاريخ الأدبي في فرنسا في القرن الثامن عشر".

ز، كتابه الصادر في أميركا عام 1950 بعنوان: (مراجع الأدب المقارن) وقد ألفه مع الباحث الأمريكي (و.ب. فريدريش)، "وفيه ثلاثة وثلاثون ألف مرجع، منظمة تنظيما يسهل الانتفاع بها في مختلف الموضوعات".

ثالثا، وقفات مع بعض مؤلفات بالدنسبيرجيه وكتاباته:

أ، مجلة الادب المقارن:

1، أسس بالدنسبرجيه وصديقه بول هازار (1878- 1944م) هذه المجلة في عام 1921م، وقد بدأت بالصدور "ثلاث مرات في كل سنة ... ومهمتها أن تطلعنا بمقالاتها على النتائج التي ينتهي إليها المقارنون الفرنسيون، وكثير من الأجانب كذلك". وقد نشر فيها بالدنسبيرجيه وهازار دراسات مهمة.

أما الأبحاث الكبيرة، من أطروحات دكتوراه الدولة أو دكتوراه الجامعات، فلم تستوعبها مساحات المجلة، ونجد مكانها في "مكتبة مجلة الأدب المقارن" التي ضمت مجموعة مهمة من الكتب، بلغ عدد كتبها من عام 1921 حتى 1931 ، في السنين العشر من عمر المجلة اثنين وستين كتابا، وهو رقم آخذ في الازدياد..

2، مقدمة بالدنسبيرجيه للعدد الأول من المجلة:

في عام /1921م/ صدر العدد الأول من المجلة الفرنسية: (الأدب المقارن)، تتصدره مقدمة بالدنسبرجيه بعنوان: (الكلمة والشيء), وفي هذه المقدمة قدم مجموعة مواقف منها:

- "استعمالَ (سانت بوف) سنة /1868 م/ لتسمية الأدب المقارن، كان يشكّل آنذاك خدمةً وإساءةً لهذا النوع من الدراسات، بإطلاق اصطلاح سهل في الوسط الثقافي".

- ولد مفهوم "الأدب المقارن" مع فيلمان، غير أنه ذاع وتأصل مصطلحا مع سانت بوف، وتعرض لنقد الباحثين وما يزال، بسبب ضعف دقته العلمية في الدلالة على ميادين البحث المنضوية تحت لوائه، غير أن شيوع المصطلح وانتشاره جعلا من تبديله غاية صعبة المنال، ويستطيع المتابع أن يجد في كل مرحلة مواقف ناقدة توجه لهذا المصطلح الشائع أصابع الاتهام، وقد جاءت مقدمة بالدنسبيرجيه عام 1921لتوجه النقد إلى المصطلح ودور سانت بوف في تكريسه وانتشاره.

- عني جان ماري كاريه (أحد أهم المقارنين الفرنسيين في القرن العشرين): بهذه المقدمة، ومما قاله: "إن العرض الشامل الأول لفكرة الأدب المقارن هو لأستاذنا فيرديناد بالدنسبرجيه، نشره في سنة 1921م، في العدد الأول من مجلة (الأدب المقارن)"(6).

ب، كتاب بالدنسبرجيه المهم الصادر في فرنسا عام 1925 بعنوان: (حركة الفكر في الهجرة الفرنسية بين عامي (1789-1815م) ومن أبرز ما جاء فيه:

1، بيان بالدنسبيريه كيف يكون الرحالة والمهاجرون وسيطا بين مثقفي بلدانهم وثقافات البلدان التي هاجروا إليها، وشرحه "كيف غذّى المهاجرون من الكتاب الفرنسيين الفكر والأدب في فرنسا".

2،وقدم نماذج من إسهام المهاجرين الفرنسيين إلى البلدان المختلفة، في تعريف أدباء بلدهم فرنسا، بآداب تلك البلدان، وتأثرهم بها، "فقد أدى اكتشاف المهاجرين (ولاسيما مدام دوستايل) المسرحية الألمانية (وطوابعها الرومانسية) إلى زلزلة العقلية الكلاسيكية لتي كانت سائدة في فرنسا".

3، تعريفه بكتب فرنسية، عنيت بآداب البلدان الأجنبية، التي هاجر إليها مؤلفوها، هجرات ماتوعة الظروف، "وبفضل هذه الهجرات وُجِد عدد من الكتب المهمة مثل كتاب مدام دوستايل: (عن ألمانيا). وكان من ثمرات هذه (الهجرات) كذلك كتاب: (عبقرية المسيحية)، وبعض صفحات من كتاب (مذكرات ما وراء القبر) لشاتوبريان"(2)، الذي خصص في هذين الكتابين صفحات للحديث عن الآداب غير الفرنسية".

ج، مواقف باحثي "الأدب المقارن" من هذا الكتاب:

عني بهذا الكتاب عدد من باحثي"الأدب المقارن"، منهم فرانسوا ماريو غويار الذي رأى أن دراسة بالدنسبرجيه لحركة المهاجرين الفرنسيين إلى البلدان المختلفة، تبين مجموعة من المؤثرات:

1، أثر هذه الهجرة في نماء العلاقات الدولية بين الآداب...

2، أثر المهاجرين في ارتقاء الحياة الاجتماعية في فرنسا...

3، بفضل المهاجرين مثل مدام دوستايل، علم الفرنسيون الكثير عن الثقافة الألمانية وتياراتها، التي أثرت في نماء التيارات الأدبية الفرنسية.

د، كتاب بالدنسبيرجيه الصادر في فرنسا عام 1926 بعنوان: (المصادر الأجنبية عند أونوريه دو بلزاك). اهتم فيه باستلهام بلزاك (Balzac(1799-1850) للآداب والثقافات الأجنبية مثل الإغريقية والرومانية وغيرهما في مؤلفاته. وقد درس المقارن العربي الرائد د,محمد غنيمي هلال هذا الكتاب، مبينا مجموعة من الرؤى، أهمها:

1، هذا الكتاب ينتمي إلى مضمار البحث "عن مصادر الكاتب في الآداب المختلفة، وعن مبلغ ما استفاد منها في مؤلف واحد، أو في مؤلفاته كلها".
2، "ويتطلب هذا النوع من الدراسات ثقافة واسعة مترامية الأطراف، وصبرا كثيرا واطلاعا واسعا".
3، "وهذه الدراسات خير ما يلقي الضوء على مواهب الكاتب، وعلى نواحي نشاطه المختلفة"(4)،
"وقد قام فرديناند بالدنسبرجيه بمثل طيب في ذلك الحين، درس المصادر المختلفة للكاتب الفرنسي بلزاك".
4، "وبيَّن – ما قال هلال- بدقة وتعمق كيف استفاد بلزاك من مختلف الآداب التي أتيح له أن يطلع عليها في فترات متعاقبة من حياته، وكيف لم يطغَ ذلك على الطابع الشخصي لبلزاك، وعلى دقة ملاحظته" (5).
هـ، كتابه الصادر في نيويورك، عام 1945بعنوان: "النقد والتاريخ الأدبي في فرنسا في القرن الثامن عشر"، ومن أبرز موضوعاته:
1، اهتم فيه بمواقف النقاد الفرنسيين من الآداب الأجنبية...
2، عد مواقف فولتير في كتابه "الرسائل الإنكليزية" مثالا على الاهتمام بالآداب الأجنبية

- درس مواقف فولتير من شكسبير، وتغيراتها، إذ أبدى إعجابا شديدا به في البداية، ثم غير مواقفه من أدبه، فوجه لمسرحيتيه الشهيرتين: "هاملت" و"عطيل" نقدا لاذعا، وقال فيه قوله الشهير: "هو كاتب جيد لقبائل الهوتنتو في أفريقيا".
- كان فولتير من أوائل الذين عرَّفوا القارئ الفرنسي ثم الأوربي بشكسبير (1564-1616) الذي ظلّ مجهولا حتى نشر فولتير كتاباته عنه بعد إقامته في لندن نحو ثلاث سنوات وعودته إلى فرنسا عام 1830.
- قدّر غويار تلميذ بالدنسبيرجيه، في كتابه "الأدب المقارن" درسه هذا قائلا: "ولا ريب أن محاولة ف. بالدنسبيرجيه تساعدنا على أن نفهم ما سميّ "بتلوّن فولتير في رأيه" (غلاب ص102)،
- ويرى غويار أن فولتير منذ البداية لم يكن يعد شكسبير فوق النقد، فهو "ما فتر قط عن اعتبار شكسبير بربريا، ولكنه أراد، بادئ ذي بدء أن يجعل {المسرحية التراجيدية} المأساة الفرنسية، ثرية عن طريقه"(غلاب ص102).

7، واهتم بالدنسبيرجيه في كتابه هذا أيضا بمواقف مدام دوستايل في كتابها "من ألمانيا".

- قال عن مواقفها من محتقري الآداب الأجنبية: "حملت مدام دوستايل (1766 – 1817م) على من لا يعيرون دراسة الآداب الأخرى اهتماما، وعلى من يحتقرونها".
- ودعت إلى "دراسة الآداب في لغاتها الأصلية". وقد علق د.محمد غنيمي هلال على ذلك بقوله: "وهذا أساس مهم للدراسات المقارنة."

رابعا، تلامذته: كان له تلامذة كثيرون في الأدب المقارن من أبرزهم: ماريو فرانسوا غويار وجان ماري كاريه اللذان درسا كتاباته ومواقفه وتأثرا بها.

محطة 11، بول هازار Paul Hazard(1878-1944):
أولا، مؤلفاته ومحاضراته ونشاطه الثقافي:
أ، كتابه ((الثورة الفرنسية والأدب الإيطالي)) الصادر عام1910م، قيمه الباحثون فرأى جويار أن تأليف هذا الكتاب يعني أن مؤلفه كان يعرف معرفة جيدة جدا تاريخ فرنسا وإيطاليا في أواخر القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر.
ب، دراساته في مجلة الأدب المقارن:

أسس بالدنسبرجيه وصديقه بول هازار (1878- 1944م) مجلة الادب المقارن في عام 1921م فنشر فيها بالدنسبيرجيه وهازار دراسات مهمة.
ج، انتخب مطلع عام 1940 عضوا في الأكاديمية الفرنسية بعد وفاة المؤرخ جورج غويو (1869-1939).
د، عام 1942 ألقى محاضرة في مدرسة المعلمين العليا بباريس ذكر فيها أنه في بحوثه المقارنيّة التي دامت خمسين سنة تبيّن أهمية معرفة اللغات في نماء الأدب وفي الأدب المقارن...
هـ، سنة 1944 توفي هازار وهو في السادسة والستين.
و، كتابه "الفكر الأوربي في القرن الثامن عشر":
1، صدر هذا الكتاب بعد وفاته بسنتين، في سنة 1946م، وهو كتاب مهم، غير أن بعض الباحثين، ومنهم كلود بيشوا (الأستاذ في جامعة بال) وأندريه م. روسو Andre M. Rousseau (الأستاذ بجامعة أكسل) وجها سهام النقد له قائلين: "والحق أن هذا النوع من المؤلفات، لم يعد متصورا إذا لم يعهد به إلى فريق يعمل تحت قيادة حذرة، ويتبنى مفاهيم ومصطلحات ذات امتداد أوربي حقيقي". (ص109، ط3، 1968ترجمة خفاجي، ترجمه جبر1980).
ز، كتابه ((أزمة الوعي الأوربي بين عامي 1680م و 1715م)):(الذي طبع بعد وفاة المؤلف بتسع سنوات سنة 1953):
La Crise de la conscience européenne (1680-1715), Paul Hazard
1، جاء تأليف هازار هذا الكتاب ليخلع على الأدب الفرنسي رجوعا زمنيا مفيدا في دراسة تاريخ هذا الأدب.
2، وضح هازار في مقدمة كتابه أنه نشر "أجزاء مختلفة من هذا المؤلَّف. لا تستعاد هنا سوى في شكل معدل على نحو ظاهر.". كان قد نشر تلك الأجزاء في الثلاثينيات، في: مجلة العالَمَيْن La Revue des deux mondes ، وفي: "مجلة الأدب المقارن ."Revue de Litterature comparee...وفي مجلة "أوربا الوسطى "Europe Centrale.
3، صدر هذا الكتاب مترجما إلى العربية عام 2009:
هازار، بول،2009- أزمة الوعي الأوربي:1680- 1715. ترجمة د.يوسف عاصي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، (605ص). (الطبعة الأولى للكتاب في فرنسا 1953، وقد ترجم إلى العربية عن الطبعة الفرنسية لعام 1961الصادرة عن مكتبة "Librairie Artheme Fayard" .
قرأت لك:
يقال: " المحبة - للأسف - ليست سهلة، مثل صناعة القنابل الذرية".